المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كليّة الحديث الشريف
والدراسات الإسلامية
قسم: فقه السنة ومصادرها

تشويه صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي واستمداداتها

إعداد الطّالب
ماهر بن ثابت أحمد إسماعيل

الرقم الجامعي (٣٠٦٤٩٢٤٣٦)

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ الله تعالى بعث نبيَّه ﷺ بالهدى والحق، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، واختار له من قومه من يصحب نَفْسَه وأنفاسَه، فعزَّروه ووقَّروه، وأدُّوا إلينا ما حفظوه عنه من كتابٍ وسُنَّةٍ.

وإنَّ من هؤلاءِ الذين شرَّفهم الله بصحبة نبيِّه ﷺ وخصَّهم بنقل ما جاء به لمن بعده أبو هريرة ﷺ لزم النبي ﷺ يحفظ عنه حديثه، لم يشغله عن ذلك شيء، فأقرأ القرآن، وحدَّث بالحديث، وأفتى، فـ«هو رأسٌ في القرآن، وفي السُّنَّة، وفي الفقه»[1]. ولم تزل منزلته في نفوس المؤمنين محفوظة، يُعلون من قدره، ويحفظون مروياته، ويجلِّونه ويحبُّونه، رضي الله عنه وأرضاه.

ولما كانت الوقيعة في أبي هريرة ﷺ من بعض الفرق كالرافضة لا تخفى على أحدٍ، فإنَّ ثمة فرقة أخرى كالمعتزلة وقفت من أبي هريرة ﷺ موقف المريب المتحفِّظ، لا لشيءٍ إلا أنَّ مروياته كشفت زيفها، وأبانت عوارها، فاتهموه وكذَّبوه، ولمزوه وتحاملوا عليه، ورسموا صورة قاتمة عنه! ولم أرَ أحدًا تناول موقف المعتزلة من أبي هريرة ﷺ ومروياته، فرأيت أن أقدِّم ورقة بحثٍ بعنوان: «تشويه صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي واستمداداتها».

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

- ما هي صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي؟
- ما موقف أئمة المعتزلة من أبي هريرة ﷺ ومروياته؟
- ما هي استمدادات صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي ؟

أهداف البحث:

تكمن أهداف هذا البحث في أمورٍ أربعة، هي:

- وصف صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي.
- تفسير الأسباب التي أدَّت إلى تكوين هذه الصورة.
- التنبُّؤ بمأخذ الدراسات المعاصرة التي نالت من أبي هريرة ﷺ وليس لها علاقة بالشيعة.

---

[1] سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦٢٧/٢).

- تطوير الدارسات المتعلقة بأبي هريرة ﷺ وبيان موقف المعتزلة منه ومن مروياته.

مصطلحات البحث:

الصورة: هي تحويل غير المرئي من المعاني والنصوص إلى المحسوس.

الفكر المعتزلي: هو كلُّ ما أنتجته المعتزلة من تراث في العلوم الشرعية والعقلية.

حدود البحث:

دراسة ما يتعلق بأبي هريرة ﷺ في كتب أئمَّة المعتزلة، والدراسات التي تنتصر لآراء المعتزلة في العصر الحديث.

الدراسات السابقة:

لم أجد –فيما اطلعتُ عليه– دراسة أفردت موقف المعتزلة من أبي هريرة ﷺ.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن تتنوَّع مناهج البحث الذي سارت عليه الدراسة، فهناك المنهج التحليلي الذي يرصد الصورة واستمدادها، وبجانبه المنهج التاريخي الذي يتتبع كيف نشأت هذه الصورة وتطوَّرت، ولا غنى لنا أيضًا عن استخدام المنهج النقدي في تناول استمدادات الصورة.

خِطَّة البحث:

يتكون هذا البحث من تمهيدٍ، ومبحثين وخاتمة. وهي كالآتي:

التمهيد: تعريف بأبي هريرة ﷺ، وموقف أئمَّة المعتزلة من مروياته.

المبحث الأول: صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي، ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: الصورة الأولى: الكذَّاب الذي لا يتورَّع عن شيء.

المطلب الثاني: الصورة الثانية: المتسوِّل الذي لا يهمُّه إلَّا بطنه.

المطلب الثالث: الصورة الثالثة: الباحث وراء المال.

المطلب الرابع: الصورة الرابعة: الرجل المهذار (كثير المزاح).

المبحث الثاني: استمدادات صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القصص المكذوبة والضعيفة.

المطلب الثاني: النصوص المبتورة من سياقاتها، وإبراز ما يوهم ظاهره الطعن فيه، وإخفاء الباقي.

المطلب الثالث: التوجيه السيء لمعاني الأخبار، وتعمُّد سوء التعليق عليها.

الخاتمة.

أخيرًا، قبل أن أغادر هذه التقدمة بقي لي شكر واعتذار: شكر لله سبحانه، ثمَّ لكلٍّ من أسدى إليَّ نصحًا، وأفادني بفائدة، فلهم مني جزيل الشكر والثناء، ومن الله عظيم الأجر والثواب.

واعتذار لك أيها القارئ الكريم مسبقًا على الصورة المشوَّهة التي طالت هذا الصحابي الجليل في تراث الفكر المعتزلي، لكنَّ عذري في ذلك هو بيان جذور تلك الصورة المشوَّهة التي تطال هذا الصحابي الجليل من المعاصرين، إذ كلُّ قومٍ لهم وارث! وبيان شناعة هذه الأقوال التي تتفوَّه بها ألسنتهم. والله الموعد – على حدِّ تعبير أبي هريرةﷺ –.

وصلى الله وسلَّم على نبيِّه محمَّد، وعلى آله وعلى صحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

التمهيد: أولًا: تعريف موجز بأبي هريرةﷺ:

غلبت كنية «أبي هريرة» على اسمه، وأصبح لا يعرف إلَّا بها، ولا تنصرف عند إطلاقها إلَّا إليه. أمَّا اسمه ﷺ قبل إسلامه فقد اختلِفَ فيه على أقوال، أصحها: عبد الرحمن بن صخر، الدوسي، الأزدي، اليماني، وقد توفي سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، واعتمد الأول الحافظ ابن حجر، وكانت وفاته بالعقيق، فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع، وكان من المشيعين له ﷺ: عبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهما[١].

أسلم أبو هريرة ﷺ عام خيبر في المحرم سنة سبع من الهجرة، وشهدها مع النبي ﷺ[٢]، وشهد غيرها من المشاهد بعد ذلك، لازم النبي ﷺ فيها ملازمةً تامَّةً تفرَّغ فيها للأخذ عنه، فكان مع النبي ﷺ، لا ينفكُّ عنه سفرًا ولا حضرًا، إذ لا يشغله عن ذلك بيعٌ ولا شراء.

كان من علماء الصحابة ومن فضلائهم، وكان كبار الصحابة يحيلون إليه الفتوى، فقد قال ابن عباس لأبي هريرة في رجل طلَّق ثلاثًا قبل الدخول: «أفته يا أبا هريرة، فقد جاءتك معضلة»، فقال: «الواحدة تبينها والثلاث تحرمها، حتى تنكح زوجًا غيره»، وقال ابن عباس مثل ذلك[٣]. قال الذهبي: «وناهيك أنَّ مثل ابن عباس يتأدَّب معه، ويقول: أفتِ يا أبا هريرة!»[٤].

روى عنه جمع من الصحابة، والتابعين، قال البخاري رحمه الله: «روى عنه ثمانمائة نفس أو أكثر»[٥]. وكان آية في الحفظ، قال أبو الزُّعَيْزَعَةَ كاتب مروان: «أنَّ مروان أرسل إلى أبي هريرة، فجعل يسأله، وأجلسني خلف السرير، وأنا أكتب، حتَّى إذا كان رأس الحول، دعا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص، ولا قدَّمَ ولا أخَّرَ». فعلَّق الذهبي على هذا الخبر بنفيسة من نفائسه فقال: «قلتُ: هكذا فليكن الحفظ»[٦]. ومع

---

[١] انظر: التاريخ الكبير، للبخاري (١٣٢/٦)، معرفة الصحابة، لأبي نعيم(١٨٤٦/٤)، الاستيعاب، لابن عبد البر (١٧٦٨/٤)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٥٧٨/٢)، الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٣٥٠/٧).

[٢] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (١٧٧١/٤).

[٣] سير أعلام النبلاء، للذهبي(٦٠٧/٢).

[٤] سير أعلام النبلاء، للذهبي(٦٠٩/٢).

[٥] تذكرة الحفاظ، للذهبي (٢٩/١).

[٦] سير أعلام النبلاء، للذهبي (٢/ ٥٩٨).

هذا «كان من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع»[١]، «وكان فيه دعابة ﷺ»[٢].

وكما أنَّ أبا هريرة ﷺ أحد نقلة الحديث الشريف، فهو كذلك أحد نقلة القرآن الكريم، قال الذهبي: «وقد ذكرته في (طبقات القراء)، وأنه قرأ على أبي بن كعب. أخذ عنه: الأعرج، وأبو جعفر، وطائفة ... فهو رأس في القرآن، وفي السنة، وفي الفقه»[٣]. وذكر ابن الجزري أنَّه عَرَضَ عليه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبو جعفر، وقال: أنَّه «تنتهي إليه قراءة أبي جعفر ونافع»[٤][٥].

ثانيًا: موقف أئمَّة المعتزلة من مرويات أبي هريرة ﷺ.

وقف أئمَّة المعتزلة ونُظَّارُها من مرويَّات أبي هريرة ﷺ موقفًا ذا توجُّسٍ وريبة، وذلك لأنَّ مرويات أبي هريرة ﷺ تبين عوار ما عندهم، وتكشف زيف أصولهم، وتخالف ما ذهبوا إليه[٦]، فتحفظوا عن مرويَّاته في العقائد والأحكام، و«كانوا لا يأخذون عن أبي هريرة إلا ما كان من ذكر جنَّةٍ أو نارٍ»[٧]. ولذا علَّق الذهبي على هذا القول بقوله: «قلت: هذا لا شيء، بل احتج المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه، لحفظه، وجلالته، وإتقانه، وفقهه، وناهيك أنَّ مثل ابن عباس يتأدَّب معه، ويقول: أفتِ يا أبا هريرة!»[٨].

أمَّا إذا خالفت مرويَّاته أصولهم وباينت أهواءهم، فمصير تلك المروَّيات هو الردُّ، فالقاضي عبد الجبار يلمز أبا هريرة ﷺ بروايته ما لا يوافق هوى المعتزلة، ويحكم على حديثه بأنَّه «لا يعمل به؛ لتساهله فيما كان يرويه عن رسول الله ﷺ، وخَلْط ما كان يرويه عنه بأمورٍ يرويه عن

---

[١] تذكرة الحفاظ، للذهبي (٢٩/١).

[٢] تذكرة الحفاظ، للذهبي (٢٩/١).

[٣] سير أعلام النبلاء، للذهبي(٦٢٧/٢).

[٤] غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (٣٧٠/١).

[٥] هذا غيض من فيض من سيرة هذا الصحابي الجليل، ومن أحب الاستزادة فعليه بكتاب دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم المنعم صالح العلي، فهو أحسن من أشبع الحديث عن حياة أبي هريرة ﷺ.

[٦] انظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي ص٣٠٥.

[٧] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(٦٨/٤).

[٨] سير أعلام النبلاء، للذهبي(٦٠٩/٢).

غيره»[١].

وأمَّا أبو علي الجبائي فقد أبطل حديث محاجة آدم وموسى، وهو حديث مروي عن أبي هريرة ﷺ، وكان الجبائي قد قبل بنفس الإسناد حديث «لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها»، فأثار استغراب أحد طلابه، فسأله: «حديثان بإسنادٍ واحدٍ، صحَّحت أحدهما، وأبطلت الآخر؟!» فأجابه الجبائي: «لأنَّ القرآن يدلُّ على بطلانه، واجماع المسلمين، ودليل العقل» [٢]. فمناط أخذهم بحديثه إذا لم تخالف مروياته أصولهم، ولذا يقول أبو علي الجبائي عن بعض الأحاديث «ما صحَّحتُ هذا الحديث لإسناده، ولا أبطلتُ ذاك لإسناده». وقال عن أبي هريرة: «إنَّما هو رجل من المسلمين»[٣].

فمرويَّات أبي هريرة ﷺ وقف لها ليس المعتزلة فحسب، وإنما أصحاب الأهواء كلُّهم، وشرقوا بها، لأنها تخالف مذاهبهم، ورحم الله ابن خزيمة حينما اختصر لنا المشهد فيمن يتكلم عن أبي هريرة ﷺ ومروياته، فقال: «وإنَّما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره ... إمَّا معطِّل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر، فيشتمون أبا هريرة، ويرمونه بما الله تعالى قد نزَّهه عنه تمويهًا على الرعاء والسفل، أنَّ أخباره لا تثبت بها الحجة، وإمَّا خارجي ... إذا سمع أخبار أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ ... لم يجد حيلةً في دفْعِ أخباره بحجةٍ وبرهانٍ كان مفزعُه الوقيعةَ في أبي هريرة، أو قدري ... إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر...كانت حجته عند نفسه أنَّ أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها، أو جاهل يتعاطى الفقه، ويطلبه من غير مظانِّه، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه،...كلَّم في أبي هريرة، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه، ويحتج بأخباره على مخالفته إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه ...»[٤].

---

[١] المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاض عبد الجبار(٤/٢٢٧).

[٢] أبو هريرة شيخ المضيرة، لمحمود أبي رية ص٥٢.

[٣] شرح عيون المسائل، للحاكم الجشمي(١/٦٣). نقلًا من كتاب الدليل النقلي بين الدليل العقلي والتوظيف ص١٧٤.

[٤] المستدرك على الصحيحين، للحاكم (٣/ ٥٨٦).

المبحث الأول: صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي.

المطالع للتراث المعتزلي يجد أنَّ الصورة الذهنية التي سيخرج بها القارئ عن أبي هريرة ﷺ صورة قاتمة جدًّا، تتقاسم بين تكذيبه، واتهامه باللهث وراء المال وبطنه، وكثرة الهذر والمزاح، وبيان ذلك كالآتي:

المطلب الأول: صورة الكذَّاب الذي لا يتورَّع عن شيء.

كان أهل الجاهلية يتحفَّظون أن يؤثر عن أحدٍ منهم كذبة، فلمَّا جاء الإسلام قبَّح الكذب، وأزرى بصاحبه، ولم يؤثر عن أحدٍ من الصحابة أنَّه كان يكذب في كلامه، فضلًا عن أن يكذبَ على نبيِّه ﷺ.

والمتَتَّبع لكتب المعتزلة، ومن قبلها كتب الشيعة يجد أنَّها توحي أنَّ أبا هريرة ﷺ كان يتقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ولا يتحرَّز من الكذب عليه، وأنَّ أمره قد ذاع بين الصحابة وانتشر، وأنه كان محلّ شكٍّ وتوجُّسٍ عند أهل المعرفة به من الصحابة -كذا زعموا-!

وبإشارات خاطفة، تدرك كيف كانت صورة أبي هريرة تُرسم في كلام أئمَّتهم الكبار، ليُعلم أنَّ ذلك مسلكٌ معتزليٌّ سار عليه الفكر المعتزلي في حقِّ أبي هريرة ﷺ.

فهذا عمرو بن عبيد الذي يعتبر المؤسس الثاني لفرقة المعتزلة يترصَّد رواية أبي هريرة ﷺ ليوهم القارئ تناقض أبي هريرة وكذبه، فحينما قال أبو هريرة: «حدثني خليلي» ﷺ قال له علي: «متى كان خليلك؟!»[١] قال عمرو بن عبيد معقِّبًا: «كأنَّه ما سمع قوله عليه الصلاة والسلام لو كنتُ متخذًا خليلًا لاتخذتُ أبا بكر خليلًا»[٢].

ثم إنَّ عمرو بن عبيد له مقالات قاسية في حق الجِلَّة من الصحابة فقد كذَّب ابن مسعود[٣]، ونال من عثمان وعلي وطلحة والزبير وسمرة بن جندب[٤].

وهذا النَّظَّام (ت٢٣١هـ) مفخرة المعتزلة، الموصوف بالنباهة والنبوغ عندهم، كما «يذكر الجاحظ عنه في كتاب المعارف بالفتيا أنَّه عاب على أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي

---

[١] تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة ص٩٢.

[٢] المحصول، للرازي (٤/ ٣٢٦).

[٣] تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي(١٤/٧٠).

[٤] انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي(١٤/٧٤، ٧٧)، والملل والنحل، للشهرستاني(١/٤٩)، وميزان الاعتدال، للذهبي(٣/٢٧٤).

هريرة، وزعم أنَّ أبا هريرة كان أكذب الناس!»[١].

فهو يزعم أنَّ كبار الصحابة كان لهم تحفُّظٌ عن روايته، وقد ذَكَرَ ابن قتيبة أنَّ النظَّام ذكر أبا هريرة، وقال: أكذَبَه عمر، وعثمان، وعلي، وعائشة[٢]. ولم يسلم من النَّظَّام حتَّى كبار الصحابة فقد نال من عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود[٣]، حتى وصفه ابن حبان بأنَّه كان يشتم الصحابة[٤]، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنَّه كان متَهتِّكًا يرتكب الفواحش والشائنات، يروح على سكرٍ ويغدو على سكرٍ، قليل الغيرة على الحرم؛ حتَّى كفَّره رجال المعتزلة أنفسهم كأبي الهذيل العلاف، والجبائي، والإسكافي، وجعفر بن حرب[٥].

ثمَّ نقل النَّظَّام أشياء ففنَّدها ابن قتيبة واحدًا واحدًا، مع أنَّ النَّظَّام ما اشتدَّ تكذيبه على أبي هريرة إلَّا لمروياته التي تخالف ما ذهب إليه[٦].

وهكذا يبقى أبو هريرة غير مرضي عنه في الفكر المعتزلي حتَّى قال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي(ت٢٤٠هـ): «وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا، غير مرضيِّ الرواية، بالدرة، ضربه عمر بالدِّرة، وقال: قد أكثرت من الرواية، وأحرَ بك أن تكون كاذبًا على رسول الله»[٧].

ومع أنَّ بعض أئمَّة الفكر المعتزلي كان يشعر بالحرج لبُعدِ المعتزلة عن الصنعة الحديثية التي يقارع بها مِنْ قِبَلِ خصومه، فهم لا يلتفتون إلى قوائم الإسناد، أو سلسلة الرواة وأحوالهم، فدعا هذا أبا القاسم البلخي إلى تأليف كتابه قبول الأخبار ومعرفة الرجال، ليمزج بين قواعد الجرح والتعديل، وتصحيح الرواة وتضعيفها بنفسٍ اعتزالي، العامل المهم في التصحيح والتضعيف هو مدى موافقة هذه الأخبار لأصول المعتزلة أو مخالفتها!.

فقد ذكر في «باب طعنهم بالجهل على جماعة من الصحابة»: «ما قالوه في أبي هريرة»، فذكر أنَّه روي عن أبي هريرة أنَّه قيل له: «أين كنت عن هذه الأحاديث فيما قيل، فقال: كنتُ

---

[١] الفرق بين الفرق، للبغدادي ص ١٣٣.

[٢] تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة ص٧٢.

[٣] تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة ص٧٧.

[٤] ميزان الاعتدال، للذهبي ٣/٢٧٤).

[٥] انظر: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة ص٧٧، والفرق بين الفرق، للبغدادي ص١٠٥، ٣٠٥.

[٦] الفرق بين الفرق، للبغدادي ص٣٠٥.

[٧] نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (٤/٦٧).

أخشى خافقات عمر»[١]. وذكر عن إبراهيم النخعي أنَّه قال: «كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة ويدعون»[٢]. وذكر عن أبي رزين أنَّه رأى أبا هريرة يضرب بيده، ثمَّ يقول: «يا أهل العراق تزعمون أنِّي أكذب على رسول الله ﷺ ليكون لكم المهنأ وعليَّ المأثم». ثمَّ يعقِّب أبو القاسم البلخي بقوله: «وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا يكذبونه في ذاك الزمان»[٣].

ما سبق ذكره كان تكذيب متقدمي المعتزلة لأبي هريرة ﷺ، أمَّا موقف متأخريهم كالقاضي عبد الجبار، وأبي علي الجبائي وغيرهما الذين اقتربوا -نوعًا ما- من العلوم الشرعية كالحديث والفقه والأصول، وهي دراسات تعتمد بطبيعتها على الصحابة، إمَّا بالرواية عنهم، وأمَّا بنقل أقوالهم، فقد تغيَّر موقفهم من كثير من الصحابة[٤] عدا أبي هريرة ﷺ فلم يتخلَّصوا من التحامل عليه، فالقاضي عبد الجبار -كما سبق- لَمَزَه بروايته ما لا يوافق هوى المعتزلة، وحكم على حديثه بأنَّه لا يعمل به لأنَّه يخلط ما يروي عن النبي ﷺ بما يرويه عن غيره[٥].

وأمَّا ابن أبي الحديد فقد ساق رواية بدون سندٍ بصيغة التمريض، أنَّه «قد روي عن علي (ع) أنَّه قال: أَلَا إنَّ أكذبَ الناس، أو قال: أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ أبو هريرة الدوسي»[٦].

وهكذا تتابع هذا النَفَس الممزوج بالشك والتوجُّس من رواية أبي هريرة ﷺ، معلِّلين أنَّه «قد أكثر بعض الصحابة عن نقده على الإكثار من الحديث عن رسول الله، وشكُّوا فيه»[٧].

ما سبق، كان صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي، يكذب في الحديث، ويختلق الأخبار، ويتحفَّظ عنه أئمَّة المعتزلة لا لشيء إلَّا لأنَّه لم يَسِرْ معهم في نفس المسار!.

المطلب الثاني: صورة المتسوِّل الذي لا يهمُّه إلَّا بطنه.

كم هو مؤلم أن تصوَّر حياة أبي هريرة ﷺ الذي آثر شظف العيش، والتقلُّل من الدنيا في

---

[١] قبول الأخبار ومعرفة الرجال، لأبي القاسم البلخي ص١٧٧.

[٢] المرجع السابق ص١٧٨.

[٣] المرجع السابق ص١٨١.

[٤] انظر: الدليل العقلي بين الحجيَّة والتوظيف، لأحمد قوشتي ص٢٤٢.

[٥] المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاض عبد الجبار(٤/٢٢٧).

[٦] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(٤/٦٨).

[٧] فجر الإسلام، لأحمد أمين ص٢١٩.

صحبة النبي ﷺ وملازمته ليحفظ عنه العلم والحديث على أنَّ مراده من ذلك شبع بطنه! مع أنَّه لو كان مراد أبي هريرة ذلك لقصد أميرًا من أمراء اليمن، يعمل عنده بالرعي أو بالزراعة، ولكفى نفسه وعثاء السفر، وعناء فراق الأهل والعشيرة، ولآثر ذلك على رجلٍ يربط على بطنه الحجر، لم يكن ملكًا أو ذا سلطان، ويتربَّص أعداؤه به الدوائر من يهود ومشركين ومنافقين، واحتمال هزيمته بادي للعيان لا سيَّما وأعداؤه يتفوقون عليه عدَّة وعتادًا وفق المنظور البشري!.

بَيْدَ أنَّ المطالع للفكر المعتزلي يجد صورة أبي هريرة ﷺ تظهر كاسفةً جدًا، فهي لم تفتأ إلَّا أن تُصوِّرَه بصورة النَّهم الذي يدور حول بطنه، مستجديًا للآخرين، فتراه «صريحًا في الإبانة عن سبب صحبته للنبي (ﷺ)، فلم يقل إنَّه قد صاحبه للمحبَّة أو للهداية كغيره من الذين يسلمون؛ وإنَّما قال: إنَّه صاحبه على ملء بطنه»[١].

ويسوق الزمخشري خبرًا مبتور الإسناد أنَّ أبا هريرة كان يقول: «اللهمَّ ارزقني ضرسًا طحونًا، ومعدةً هضومًا، ودبرًا نثورًا»[٢]. فهذه النفس النهمة التي يصوِّرها هذا الخبر تتماهى في الجشع، وتتنافى مع المروءة الذي كان أبو هريرة ﷺ يرى أنَّ الأكل في داخل البيوت لا يليق بأهله، فقد قيل له: «ما المروءة؟ قال: تقوى الله، وإصلاح الصنيعة، والغداء والعشاء بالأفنية»[٣].

فأبو هريرة ﷺ يرى «أنَّ مِنَ المروءة أن يكون الأكل بالأفنية ...بموضع بارز ليدعو صاحب الطعام من مرَّ، ويشاركه من حَضَرَ، لا يَغلِقُ بابَه ويأكل وحده»[٤]، ومع هذا فقد حاول أبو ريَّة أن يُطوِّع الخبر لمرادِه الدنيء أنَّ أبا هريرة ﷺ ما قال ذلك إلَّا لنَهَمِهِ في الأكل![٥].

وتصوير حياة أبي هريرة ﷺ بشخصية الانتهازي الذي يتتبع شهوة بطنه وملذاتها، ولو على حساب مبادئه وقيمه عمل يفتقد إلى الصدق والأمانة العلمية، فقد ذكر الزمخشري عن أبي هريرة ﷺ أنَّه «كان تعجِبُه المضيرة جدًا فيأكلها مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلَّى خلف علي ﷺ، فإذا قيل له؟ قال: مضيرة معاوية أدسم وأطيب، والصلاة خلف علي أفضل!

---

[١] أبو هريرة شيخ المضيرة، لأبي رية ص٥٢.

[٢] ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري(٣/٢١٠).

[٣] البيان والتبيين، للجاحظ (٢/١٢٢).

[٤] الأنوار الكاشفة، للمعلمي ص٢٠٧.

[٥] انظر: أبو هريرة شيخ المضيرة، لأبي ريَّة ص٦٤.

فكان يقال له شيخ المضيرة»[١].

فهذا الخبر مع ما فيه من إساءة بالغة في حقِّ أبي هريرة ﷺ ففيه أيضًا مغالطة تاريخية تَشِيْ بأنَّ أبا هريرة كان في صف معاوية ﷺ ضد علي ﷺ، مع أنَّه اعتزل الفتنة، وروى حديث «ستكون فتنٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرَّف لها تستشرِفُه، ومن وجد فيها ملجأً فليعذ به»[٢].

ونَبْزُ أبي هريرة ﷺ بهذا اللقب السيء كما صنع محمود أبو ريَّة في كتابه السيء الذكر (أبو هريرة شيخ المضيرة) يتنافى مع أدب القرآن ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١] ومع كل الأخلاق الفاضلة. ولكنَّه سقوط أخلاقي لُبِّسَ لبوس البحث العلمي، وإعادة قراءة التراث!

المطلب الثالث: صورة الباحث وراء المال.

روى أبو نعيم الأصبهاني بسنده «عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟» فقلت: أسألك أنْ تُعلِّمَني ممَّا علَّمك الله»[٣].

وفي هجرته ﷺ أَبَقَ غلام له، فلمَّا قَدِمَ على النبي ﷺ وبايعه، فبينا هو عنده إذ طلع الغلام، فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة هذا غلامك»، فقال: «هو حرٌّ لوجه الله»[٤]. فأعتق غلامه مع قلَّةِ ذات يده؛ شكرًا لله تعالى على إبلاغه مقصده من الهجرة[٥].

فأبو هريرة ﷺ إن كان له مال صَرَفَه في سبيل الله من عتقٍ أو مساعدة المحتاجين، وإن كان مُقلِّاً صَبَرَ، واكتفى بما عنده، ولم يشغله قلَّة ذات يدِه عن سموِّ طلبِه، وتفانيه في حفظ حديث رسول الله ﷺ، فهذه هي صورة أبي هريرة في ذهن كلِّ مؤمن يَقدِرُ لأبي هريرة ﷺ قدرَه.

وأمَّا صورة أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي، فهي صورة مادية بحتة، فتجده عندهم يسلك جاهدًا طرق الحيلة، ويعتذر إذا فُضِحَ بين الملأ.

روى أبو القاسم البلخي عن أبي هريرة ﷺ قال: «قال لي عمر: يا عدو الله وعدو الإسلام، قال: قلت: لستُ بعدو الله، ولا عدو رسول الله ﷺ، ولم أسرق مال الله، قال: فمن

---

[١] ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري (٣/٢٢٦).

[٢] رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢١١).

[٣] حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني(١/٣٨١).

[٤] رواه البخاري في صحيحه (٣/١٤٦).

[٥] الأنوار الكاشفة، للمعلمي ص١٩٨.

أين عشرة آلاف؟ قال: قلت: خيلي تناسلت، وعطائي تلاحق. قال: فغرسها فلمَّا صليتُ الغداة استغفرتُ لأمير المؤمنين»[١]. فاستغفر لأمير المؤمنين ممَّا قاله، واعتذر منه!.

وتجده عندهم -أيضًا- مطعون في أمانته، معدودًا في خونة العمَّال الذين صادرهم عمر ﷺ، قال ابن أبي الحديد: «كان عمر يصادر خونة العمَّال فصادر أبا موسى الأشعري ... وصادر أبا هريرة، وأغلظ عليه، وكان عامله على البحرين، فقال له: أَلَا تعلم أنِّي استعملتك على البحرين وأنت حافٍ لا نعلَ في رجلك ...»[٢].

ثم ساق خبرًا طويلًا يَشِي بأمورٍ كثيرة، من إغلاظ عمر عليه، وتكذيبه، وضربه بالدِّرة، والاتهام له بالخيانة، واحتقار الآخرين له بما فيهم أمُّه!.

فهذه الصورة التي تحطُّ من قدرِه ﷺ التي ساقها ابن أبي الحديد بدون خطام ولا إسناد، هي صورة مفتراة عنه.

أمَّا استغفال أبي هريرة ﷺ وتصويره في عداد ضعفاء الفهم والحساب، فقد ذكر ابن أبي الحديد أنَّ أبا هريرة قَدِمَ على عمر بثمانمائة ألف درهم، فقال له: «بما قدِمْتَ؟ فقال: بثمانمائة ألف درهم، فقال له: ألم أقل لك إنَّك يمانٍ أحمق، ويحك! إنَّما قدمت بثمانين ألف درهم.

فقال: يا أمير المؤمنين إنما قدمت بثمانمائة ألف درهم، فجعل يعجب ويكرِّرها، فقال: ويحك! وكم ثمانمائة ألف درهم؟ فعددتُ مائة ألف، ومائة ألف، حتى بلغت ثمانية فاستعظم ذلك، وقال: أطيب هو؟ ويحك! قلت: نعم»[٣]. ولعمر الله ما كان قدر أبي هريرة ﷺ ومقامه عند عمر إلَّا في أعلى مقام، لا كما تصوِّره هذه الحكايات الآثمة.

وصُوِّرَ أبو هريرة ﷺ أنَّه كان يستجيز تحريف مروياته حتَّى تتوافق مع رغباته ومصالحه، فقد ذكر أبو القاسم البلخي حديث ابن عمر ﷺ أنَّ رسول ﷺ أمر بقتل الكلاب، إلَّا كلب ماشية أو كلب صيد، فقيل لابن عمر: «إنَّ أبا هريرة يقول: أو كلب زرع»، قال: «إنَّ لأبي هريرة زرعًا»[٤]. وساق هذا الحديث في باب «ما قالوه في أبي هريرة»، وكأنَّه يومئ إلى أنَّ ابن

---

[١] معرفة الرجال وقبول الأخبار، لأبي القاسم البلخي ص١٧٦.

[٢] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(٤٢/١٢).

[٣] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(٧٦/١٢).

[٤] معرفة الرجال وقبول الأخبار، لأبي القاسم البلخي ص١٧٦. والحديث رواه مسلم في صحيحه (١٢٠٠/٣).

عمر قصد بذلك التهمة له من أجل حاجته إلى الكلب لحراسة زرعه، لا أنَّ ذلك دليل على توثُّق أبي هريرة ومعرفته لملازمة ذلك له، وسؤاله عنه رسول الله ﷺ.

المطلب الرابع: صورة الرجل المهذار (كثير المزاح).

كان أبو هريرة ﷺ رجلًا متواضعًا، يألفه من يجلس معه، يحبُّ المزاح ولم يكن في مزاحه ما ينكر، وكان يتعمَّد التبذُّل والتواضع لـمَّا كان أميرًا، تهاونًا منه بالإمارة، ومناقضة لما كان يتسم به بعض الأمراء من الكبر والتعالي على الناس[١].

لكنَّ الفكر المعتزلي أراد أن يشوِّه تلك الفضيلة التي تحلَّى بها أبو هريرة ﷺ، فوسموه بالمهذار، وكان هذا الأمر أحد مآخذ النظَّام عليه، فقد ذكر الرازي نقلًا عن الجاحظ في كتابه الفتيا عن النظام: أنَّ أصحاب عبد الله لـمَّا بلغهم خبر أبي هريرة: «من قام من منامه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا. قالوا: إنَّ أبا هريرة مكثار، فكيف نصنع بالمهراس؟!»[٢]. وذكر أبو ريَّة أنَّ الذي قال كيف نصنع بالمهراس هي عائشة[٣].

وأقبح من هذا كلِّه الدعوى الفاجرة التي زعمها أبو رية بقوله: «أجمع مؤرِّخو أبي هريرة أنَّه كان مزاحًا مهذارًا، يتودَّد إلى الناس، ويسلِّيهم بكثرة الحديث، والإغراب في القول، ليشتد ميلهم إليه، ويزداد إقبالهم عليه»[٤]. كان يمزح نعم، أمَّا الهَذَر دعوى عريضة ليس لها أساس من الصحة.

وذكر ابن أبي الحديد أن ابن قتيبة ذكر في كتابه المعارف «أنَّ أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق، ويلعب معهم، وكان يخطب وهو أمير المدينة فيقول: الحمد لله الذي جعل الدين قيامًا، وأبا هريرة إمامًا، يضحك الناس بذلك.

وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق، فإذا انتهى إلى رجلٍ يمشي أمامه، ضرب برجليه الأرض ويقول: الطريق، الطريق، قد جاء الأمير، يعني نفسه»[٥].

---

[١] انظر: الأنوار الكاشفة، للمعلمي ص٢٠٩.

[٢] المحصول، للرازي (٤/٣٢٥).

[٣] شيخ المضيرة أبو هريرة، لأبي ريَّة ص٦٧.

[٤] أضواء على السنة المحمدية، لمحمود أبي رية ص١٧٣.

[٥] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(٤/٦٩).

المبحث الثاني: استمدادات الصورة:

المتتبع لما قيل في أبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي يجد أنها لا تخرج عن هذه المسالك في استمدادها لهذه الصورة المشوهة، التي أساءت إلى هذا الصحابي الجليل، وهذه المسالك هي:

المطلب الأول: القصص المكذوبة أو الضعيفة.

لا شيء أسوأ مِنْ أنْ يُقوَّل المرء ما لم يقل، أو يُصدَّقَ كلامٌ قيل عنه لا أساس له من الصحة، وأبو هريرة ﷺ قُوِّل ما لم يقل، وتُقوِّل عليه، وحسبه أنَّ الله سيرفعه بما نيل منه درجات عنده سبحانه.

فقول علي ﷺ «متى كان خليلك؟!» في تكذيبه لأبي هريرة ﷺ في قوله: «حدثني خليلي ﷺ» هي من أكاذيب النظَّام وأقاويله، وليس لها سند أو خطام.

ومثل هذا القول المنسوب لعلي ﷺ «أنَّ أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ لأبو هريرة»، ليس له مصدر إلَّا ما كان من حكاية ابن أبي الحديد عن الإسكافي، وقد ذكرها الإسكافي المعتزلي بدون سند، وبينه وبين أبي هريرة مئات السنين! «وأهل العلم لا يقبلون الأخبار المنقطعة ولو ذكرها كبار أئمة السنَّة. فما بالك بما يحكيه ابن أبي الحديد عن الإسكافي عمَّن تقدَّمه بزمان! »[(١)].

وضرب عمر ﷺ أبا هريرة ﷺ بالدِّرَّة، وقوله له: «قد أكثرتَ الرواية، وأحر بك أن تكون كاذبًا» هي من حكايات ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، وقد ساقه بدون إسناد أيضًا، فهي قصة مكذوبة عن عمر ﷺ. وما ذكره الزمخشري عن أبي هريرة ﷺ أنَّه كان تعجِبُه المضيرة، فهذا الخبر مكذوب عليه، وفيه مغالطة تاريخية كما سبق بيان ذلك.

وما ساقه الزمخشري -أيضًا- عن أبي هريرة في دعائه أنه كان يقول: «اللهمَّ ارزقني ضرسًا طحونًا، ومعدةً هضومًا، ودبرًا نثورًا»[(٢)]. ليس له إسناد، وإنَّما هو على حدِّ طريقة بعض أهل الأدب الذين يجمعون الغثَّ والسمين، وغرائب الأقوال!.

وما حكاه ابن أبي الحديد أنَّ عمر كان يصادر خونة العمال، وأنَّه صادر أبا هريرة، وأغلظ عليه، وضربه بالدِّرَّة حتى أدماه، وقال له: «أَمَا واللهِ ما رَجَتْ فيك أُميمة أنْ تجبي أموال هجر

[(١)] الأنوار الكاشفة، للمعلمي ص٢١١.

[(٢)] ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري(٣/٢١٠).

واليمامة وأقصى البحرين لنفسك لا لله ولا للمسلمين، ولم ترجُ فيك أكثر من رِعْية الحُمُر وعزله». نعم، ثبت عن ابن سيرين أنَّ عمر سأل أبا هريرة فأخبره، فأغلظ له عمر، وقال: فمن أين لك؟ – كما هو معروف عنه في محاسبته للولاة، وليس من قبيل اتهامه لهم بالخيانة– فقال: خيل نتجت، وغلَّة رقيقٍ لي، وأعطية تتابعت عليَّ. قال ابن سيرين: فنظروا فوجدوه كما قال. ثمَّ دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له[١].

فليس في خبر ابن سيرين وهو من خيار التابعين ما ذكره ابن أبي الحديد من ضرب عمر له بالدِّرَّة حتى أدماه، ولا تعييره بأنَّ أميمة لم تكن ترجو أن يصل حاله إلى ما وصل إليه.

وما ذكروه أنَّ عائشة كذبت أبا هريرة بقولها: «فكيف نصنع بالمهراس؟!»[٢].

فلم يثبت أنَّ عائشة قالت لأبي هريرة، قال ابن أمير الحاج عن شيخه الحافظ فيما روي عن عائشة وابن عباس أنه قال: «لا وجود له في شيء من كتب الحديث، وإنما الذي قال هذا لأبي هريرة رجل يقال له: قين الأشجعي»[٣].

ورحم الله ابن الوزير حينما استغاث من تصديق المجاهيل والكذابين في انتقاص ذاك الجيل، فقال: «فيا غوثاه ممن يَقْبَلُ مجاهيلَ الرواة في انتقاص خَيْرِ أُمَّةٍ بنصِّ كتاب الله، وخيرِ القرون بنصِّ رسول الله! فحسبُنا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٤].

المطلب الثاني: النصوص المبتورة من سياقاتها، وإبراز ما يوهم ظاهره الطعن فيه، وإخفاء الباقي.

الاصطياد في الماء العكر له روَّاده، وعادةُ هؤلاء لا يلتزمون بقِيَمٍ ولا أخلاق، ما دام ذلك يخدم فكرته، وبتر النصوص من سياقاتها، وإبراز ما يوهم ظاهره الطعن فيه، وإخفاء الباقي أحد ملامح هذا التزوير.

ساق ابن أبي الحديد أنَّ ابن قتيبة ذكر في كتابه المعارف[٥] «أنَّ أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق، ويلعب معهم، وكان يخطب، وهو أمير المدينة فيقول: الحمد لله الذي جعل

---

[١] البداية والنهاية، لابن كثير (١١٣/٨).

[٢] المحصول، للرازي (٣٢٥/٤)، شيخ المضيرة أبو هريرة، لأبي ريَّة ص٦٧.

[٣] التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج (٣٠٠/٢).

[٤] العواصم والقواصم، لابن الوزير(١٨٢/١).

[٥] الراجح أنَّ هذا الكتاب ليس لابن قتيبة؛ وإنما نُسِب إليه زورًا وبهتانًا. انظر: مقدمة تأويل مختلف الحديث ص٣٠.

الدين قيامًا، وأبا هريرة إمامًا، يضحك الناس بذلك، وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق، فإذا انتهى إلى رجلٍ يمشي أمامه، ضرب برجليه الأرض، ويقول: الطريق، الطريق، قد جاء الأمير، يعني نفسه»[١].

فصاحب كتاب المعارف أراد بتر هذا الخبر عن سياقه ليَظهر أبو هريرة بصورة المهرِّج، مع أنَّك لو رجعت للخبر بسياقه كاملاً لرأيت أنَّ أبا هريرة ﷺ كان كلامه في معرض تعداد نِعَمِ الله عليه، فقد أخرج أبو نعيم هذا الخبر عن سليم بن حيان، قال: سمعت أبي يحدِّث عن أبي هريرة، قال: «نشأتُ يتيمًا، وهاجرتُ مسكينًا، وكنتُ أجيرًا لابنة غزوان بطعام بطني، وعقبة رجلي، أحدو بهم إذا ركبوا، وأحتطبُ إذا نزلوا، فالحمد لله الذي جعل الدين قوامًا، وجعل أبا هريرة إمامًا»[٢]. فليس في هذا الخبر أيّ إشارة إلى أنَّ أبا هريرة ﷺ كان مراده إضحاك الناس!.

ولو رجعت إلى خبره ﷺ: «الطريق، الطريق، قد جاء الأمير، يعني نفسه»، فقد ذكر الذهبي فقال: «كان مروان ربَّما استخلف أبا هريرة على المدينة، فيركب حمارًا ببرذعة، وفي رأسه خلبة من ليف، فيسير، فيلقى الرجل، فيقول: الطريق! قد جاء الأمير». فأبو هريرة «كان يتعمَّد التبذل والمزاح حين يكون أميرًا تهاونًا بالإمارة، ومناقضةً لما كان يتسِمُ به بعض الأمراء من الكبر والتعالي على الناس»[٣]. فاجتزاء الأخبار، وإظهار ما يوافق الهوى، وإغفال الباقي عمل تنقُّصُه المهنيَّة والأمانة العلميَّة.

المطلب الثالث: التوجيه السيء لمعاني الأخبار، وتعمُّد سوء التعليق عليها.

لقد أحسن المتنبي حينما قال:

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ سَاءتْ ظُنونُهُ وصَدَّقَ ما يعتادُهُ مِنْ تَوهُّمِ

ثمَّة أناسٌ يسيئون الظنَّ بأنفسهم، ومن ثمَّ يسيئون الظن بالآخرين، وهذا دليل على فساد في الطبع وفي السلوك معًا! وقد نال أبو هريرة ﷺ من هؤلاء الناس، فقلبوا محامده إلى مذامٍّ، وحسناته إلى سيئاتٍ، فتصوير الشانئين أن صحبة أبي هريرة ﷺ من أجل شبع بطنه،

---

[١] شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد(٤/٦٩).

[٢] حلية الأولياء، لأبي نعيم(١/٣٧٩).

[٣] الأنوار الكاشفة، للمعلمي ص٢٠٩.

واستدلالهم بقوله ﷺ: «وكنت امرأً مسكينًا، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني»[١]، وأنَّه كان «صريحًا في الإبانة عن سبب صحبته للنبي (ﷺ)، فلم يقل إنَّه قد صاحبه للمحبَّة أو للهداية كغيره من الذين يسلمون؛ وإنَّما قال: إنَّه صاحبه على ملء بطنه»[٢].

وقد أحسن المعلِّمي حينما بيَّن سبب مقولة أبي هريرة ﷺ لذلك فقال: «فأبو هريرة لم يتكلَّم عن إسلامِه، ولا هجرته، ولا صحبته المشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، وإنَّما تكلَّم عن مزيَّتِه، وهي لزومه للنبي ﷺ دونهم، ولم يعلِّل هذه المزيَّة بزيادة محبتِه، أو زيادة رغبتِه في الخير أو العلم، أو نحو ذلك مما يجعل له فضيلة على إخوانه، وإنَّما علَّلها على أسلوبه في التواضع بقول «على ملء بطني» فإنَّه جعل المزيَّة لهم عليه بأنَّهم أقوياء يسعون في معاشهم، وهو مسكين». ثمَّ عقَّبَ عل ذلك بقوله: «وهذا والله أدب بالغٌ تخضع له الأعناق»[٣].

ومثله ما ساقه أبو القاسم البلخي حديث ابن عمر في النهي عن قتل الكلاب، وقوله عن أبي هريرة ﷺ: «إنَّ لأبي هريرة زرعًا»[٤]. وساق هذا الحديث في باب «ما قالوه في أبي هريرة» كأنَّه يومئ إلى أنَّ ابن عمر قصد بذلك التهمة له من أجل حاجته إلى الكلب لحراسة زرعه.

قال الخطَّابي مفنِّدًا هذا الظنَّ السيء: «كان ابن عمر لا يذكر في هذا الحديث كلب الزرع، وقيل له: إنَّ أبا هريرة ذكر كلب الزرع، فقال: إنَّ لأبي هريرة زرعاً، فتأوَّله بعض من لم يوفَّق للصواب على غير وجهه، وذهب إلى أنَّه قصد بهذا القول إنكاره، والتهمة له من أجل حاجته إلى الكلب لحراسة زرعه، وليس الأمر كما قال، وإنَّما أراد ابن عمر تصديق أبي هريرة، وتوكيد قوله وجَعْل حاجته إلى ذلك شاهداً له على علمه ومعرفته به؛ لأنَّ من صَدَقَت حاجته إلى شيءٍ، كثُرت مسألتُه عنه، ودام طلبه له حتى يدركَه ويحكمَه»[٥].

وما ذكره البلخي أنَّه رُوِيَ عن أبي هريرة أنَّه قيل له: «أين كنت عن هذه الأحاديث فيما قيل؟ فقال: كنتُ أخشى خافقات عمر»[٦]. فقد ذكر ابن كثير معناه عن ابن عجلان أنَّ أبا

---

[١] رواه البخاري في صحيحه (١٠٩/٣).

[٢] أبو هريرة شيخ المضيرة، لأبي رية ص٥٢.

[٣] الأنوار الكاشفة، للمعلمي ص٢٠٣.

[٤] معرفة الرجال وقبول الأخبار، لأبي القاسم البلخي ص١٧٦. والحديث رواه مسلم في صحيحه (١٢٠٠/٣).

[٥] معالم السنن، للخطَّابي (٢٨٨/٤).

[٦] قبول الأخبار ومعرفة الرجال، لأبي القاسم البلخي ص١٧٧.

هريرة كان يقول: «إنِّي لأحدَّث أحاديث، لو تكلَّمت بها في زمن عمر، لشجَّ رأسي»[١]. ففي السند انقطاع، فلم يسمع ابن عجلان من أبي هريرة ﷺ. ثمَّ على افتراض صحتِّه، فقد ذكر الذهبي معلِّقًا على هذا الخبر بقوله: «قلت: هكذا هو كان عمر ﷺ يقول: أقلوا الحديث عن رسول الله ﷺ وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث، وهذا مذهب لعمر ولغيره»[٢].

وبهذا يتبيَّن أنَّ سوء التعليق على الخبر، قد يقلب معناه، ويغيِّر حقيقته، ويدين صاحبه، مع أنَّه براء من ذلك، لولا تجيير هذا الخبر لمآرب في النفس، والله المستعان!.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة القصيرة في الفكر المعتزلي، ظهر لنا الآتي:

١- أنَّ موقف أئمَّة المعتزلة من أبي هريرة ﷺ ومروياته هو موقف المتحفظ المستريب، مطعون في عدالته، مردودة أحاديثه إذا خالفت أصولهم، وبيَّنت زيفهم.

٢- أنَّ الصورة الذهنيَّة لأبي هريرة ﷺ في الفكر المعتزلي صورة قاتمة جدًّا، تتقاسم بين تكذيبه، واتهامه باللهث وراء المال وبطنه، والرجل المهذار.

٣- أن استمدادات هذه الصورة جاءت من القصص المكذوبة والضعيفة، ومن البتر السيء للنصوص وإبراز ما يوهم الطعن وإخفاء الباقي، ومن التوجيه السيء لمعاني الأخبار، وسوء التعليق عليها. مع أنَّ الوقيعة في أبي هريرة ﷺ والنيل منه، هو طعن في السنَّة والقرآن معًا فقراءة أبي جعفر ونافع تنتهي إليه. وصلى الله وسلَّم على نبينا محمدٍ، وعلى صحبه أجمعين.

◈◈◈

المراجع والمصادر

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

أضواء على السنة المحمدية، لمحمود أبي رية، دار المعارف، ط٦.

---

[١] البداية والنهاية، لابن كثير(٣٧٢/١١).

[٢] سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦٠١/٢).

الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي، تحقيق علي العمران، دار عالم الفوائد، ط٢، ١٤٣٤هـ.

البداية والنهاية، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال-بيروت، ١٤٣٢هـ.

التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد — الدكن.

تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

تأويل مختلف الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محي الدين الأصفر، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

تذكرة الحفاظ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.

التقرير والتحبير، لأبي عبد الله، محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير الحاج، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الأصبهاني، نشر السعادة- بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

الدليل العقلي بين الحجيَّة والتوظيف، لأحمد قوشتي مخلوف، الجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية المعاصرة (فكر) - الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ.

ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، لجار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي-بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

سير أعلام النبلاء لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل.

شيخ المضيرة أبو هريرة، لمحمود أبي رية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - لبنان، ط٤، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق، ط١، ١٤٢٢هـ.

صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ﷺ، لمحمد بن إبراهيم الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

غاية النهاية في طبقات القراء، لمحمد بن محمد بن يوسف الجزري، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

فجر الإسلام، لأحمد أمين، دار الكتاب العربي -بيروت، ط١٠، ١٩٦٩م

الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، لأبي القاسم البلخي، والقاضي عبد الجبار، والحاكم الجشمي، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر.

قبول الأخبار ومعرفة الرجال، لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي، تحقيق أبي عمرو الحسيني، دار الكتب العلمية.

المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق: طه بن جابر العلواني، مؤسسة الرسالة: ط٢، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ — ١٩٩٠م.

معالم السنن، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، المطبعة العلمية- حلب، ط٣، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.

معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، تحقيق: عادل العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار الهمداني، تحقيق نخبة من العلماء، إشراف طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٢-١٩٦٦م.

الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.